IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
مجلة كلية الكوت الجامعة للعلوم الإنسانية
ISSN (E): 2707 – 5648 II ISSN (P): 2707 – 563x
www.kutcollegejournal1.alkutcollege.edu.iq
k.u.c.j.hum@alkutcollege.edu.iq
عدد خاص لبحوث المؤتمر العلمي الثالث لكلية القانون - جامعة واسط للمدة من 17 - 18 نيسان 2024

عقيدة البداء عند الشيعة الامامية وأهل السنة (دراسة مقارنة)

م. م. علي محسن جبر [1]

انتساب الباحث
[1] رئاسة الجامعة، جامعة واسط، العراق، واسط، 52003

[1] alimoh1982021@gmail.com

[1] **المؤلف المراسل**

معلومات البحث
تأريخ النشر : كانون الثاني 2025

المستخلص
نعالج في بحثنا هذا عقيدة البداء عند الشيعة الإمامية وأهل السنة، وقد عرّفنا البداء بدايةً، لغة واصطلاحاً، الذي كان بمعنى الظهور بعد الخفاء، ومن ثمّ، تحدثنا عن البداء في عقيدة الشيعة الإمامية التي رأت أنّ البداء هو الظهور بعد التجلي، ورأتْ أنّ ذلك لا يخصّ علم الله تعالى، أي: أنْ يُنسب الجهل إلى الله تعالى في بعض الأمور، وخالف أهل السنة الشيعةَ الإمامية في عقيدة البداء على غير حقيقته التي أقرّوها، وكان لهم رأي مخالف، وحجتهم في ذلك لا يجوز نسبة الجهل إلى الله تعالى بعد العلم، ولكل من الفريقين حججه في تأييد مذهبه، غير أنّ الشيعة الإمامة ذكرت الرأيين، البداء بالنسبة للإنسان، الذي هو بمعنى الجلاء جلاء ما كان خافياً على الإنسان وظهوره، والبداء بالنسبة لله تعالى على عكس ذلك، لا يجوز نسبة الجهل بعد العلم له سبحانه وتعالى، وهذا النزاع بين الفريقين لا يفضي إلى نتائج عقائدية ملموسة، بل يزيد من هوّة الخلاف، وكان الاحتكام إلى القرآن والكريم، والروايات المشهورة خير دليل على صحة وبرهان ما يذهب إليه أهل البيت عليهم السلام، وحجة السنة بأنّ نسبة البداء إلى الله تعالى بمعنى نسبة الجهل إلى الله تعالى بعد العلم ، رأي صائب، وهذا الرأي من القضايا الاتفاقية بين أهل السنة والإمامية؛ إذ لم يصرّح أحد من الفريقين عكس ذلك، وقد دللنا على هذا الرأي في الدراسة، وكانت حجتهم عليهم السلام في البداء ، بتفنيد البداء تفنيداً أفضي إلى نتائج ملموسة بتقسيمهم إياه إلى العلم بعد الجهل، والانكشاف والجلاء فيما يخصّ الإنسان ، أمّا علمه سبحانه وتعالى لا يحيطه زمان ولا مكان ، فهو العالم بكلّ شيء لا تخفى عليه خافية، وقد أفرز هذا البحث فوائد متعددة لعقيدة البداء ، منها عقائدية تخصّ الاتصال بالخالق المعبود، ومنها تربوية تفضي إلى تهذيب الإنسان، وتقويم سلوكه نحو الدين الصحيح.

الكلمات المفتاحية: عقيدة، بداء، إمامية

The Doctrine of Al Badaa at the Imami Shiites and Sunnis A (Comparative Study)

Assist. Lec. Ali Mohsen Jabr [1]

Affiliation of Author
[1] Presidency of Wasit, Univ. Wasit, Iraq, Wasit, 52003

[1] alimoh1982021@gmail.com

[1] **Corresponding Author**

Paper Info.
Published: Jan. 2025

Abstract
In this research, we address the doctrine of Al Badaa at the Imami Shiites and Sunnis. We initially defined Al Badaa, linguistically and terminologically, which meant appearance after concealment. Then, we talked about beginning in the Imami Shiite doctrine, which saw that beginning is the appearance after manifestation, and saw that this does not It pertains to the knowledge of God Almighty, that is, attributing ignorance to God Almighty in some matters, which led the Sunnis to understand the beginning according to the Imamis in a way other than its reality that they approved of, which led them, that is: the Sunnis, to accuse the Imamis in terms that do not befit them, and their doctrinal role. Nor by the family of the Prophet, the possessors of knowledge, who are firmly rooted in knowledge، We hardly find among the Sunni scholars anyone whose knowledge rivaled the Prophet's family, peace be upon them, so we saw that what was raised by the Sunnis towards the Imamis was an apparent fabrication that did not lead to tangible doctrinal results. Rather, their argument, peace be upon them, was stronger than the arguments of the Sunnis, as they refuted the beginnings. A refutation that led to tangible results by dividing it into knowledge after ignorance, and revelation and clarity with regard to man, but His knowledge, Glory be to Him, is not encompassed by time or space, for He knows everything and nothing is hidden from Him. This research has produced multiple benefits for the doctrine of beginning, including a doctrine related to communication. To the Creator who is worshiped, including education that leads to refining man and correcting his behavior towards the correct religion.

Keywords: Doctrine, Beginning, Imamate

المقدمة

إنّ البداء في معناه العام هو الظهور، ظهور الشيء بعد أن كان خافياً على الإنسان، وقد تصدر عنّا أفعال نحسبها صحيحة، وبعد ذلك بوقت نغيّر أفعالنا الأولى إلى أفعال أخرى أكثر نفعاً وصحّة ممّا كان سابقاً، لظهور أشياء أخرى تفضي إلى تعديل السّلوك الأوّل، وهذا الثاني قد ظهر وانكشف بعد أن استجدّت أمور كانت غائبة بالنسبة إلى الإنسان، وهذا هو البداء بمعنى الظهور والتجلّي بعد الخفاء، فيقال: بدا لنا أنْ نفعلَ كذا، أي: ظهر لنا بعدما كان خفياً عنا، فالبداء: ظهور ما كان خفياً من الفعل لظهور ما كان خفياً من العلم بمصلحة الإنسان الدينية الصحيحة، ثم توسع في الاستعمال، فأُطلق البداء على ظهور كلّ فعل كان الظّاهر خلافه، سواء في الاستعمال الحقيقي أم المجازي.

وهذا البداء الذي يخصّ الإنسان لا يمكن أن ينطبق على الله تعالى؛ لأن الله عزّ وجل لا يخفى عليه شيء لا في الأرض ولا في السماء، فليس معنى البداء هنا ظهور أمر كان خفياً عنه سبحانه وتعالى؛ لأن ذلك يلزم عنه صفة الجهل تعالى عن تلك الامور السّابقة، ومحال أن يكون الله تعالى خالق الكون، والعالم بكلّ شيء أن تطلق عليه هذه الصفة، ومن هنا كانت الإمامية تعتقد بالبداء، لا كما فهمه علماء السنّة من إطلاق ذلك على الله، ممّا أدى إلى تكفير الإمامية، ونعتهم بألفاظ لا تليق بهم كالروافض، ومن هنا فقد أنكر بعض علماء المسلمين البداء، وشنّعوا على شيعة أهل البيت (عليهم السلام) اعتقادهم بالبداء، وسبب هذا الإنكار عدم معرفتهم بما يقصده الشيعة الإمامية بهذا المصطلح، فيحسبون أن معنى البداء هو المعنى المتعارف في رتبة المخلوق. وكذلك نجد للبداء فوائد كثيرة عقائدية وتربوية، ينهج منها المسلمون للسير على الطريق الإيماني الصحيح.

والحقيقة أنّ أهل البيت وشيعتهم عليهم السّلام كغيرهم من المسلمين في الاعتقاد باستحالة كون البداء بهذا المعنى على الله عز وجل، وتكفير من يذهب إليه، وهناك كثير من الأحاديث المروية عنهم عليهم السّلام في هذا الاعتقاد، ولكنّهم مع ذلك يقولون بالبداء، وفي مبحثنا هذا سنجلي الحقيقة، وتكون الروايات والقرآن الكريم الفيصل الأساس بين المذهبين.

المبحث الأول: تعريف البداء لغةً واصطلاحاً:

أوّلاً ــ البداء لغة:

لقد جاء البداء في معاجم العربية بمعنى ظهور الشيء ، وتجليه للواقع بعد أن كان خافياً غير معروف، وبعد تجلّيه وظهوره، يطلع الناس عليه، ومن ثمّ، تصحح الأعمال، فالبداء : مصدر الفعل الثلاثي (بَدوَ) الذي يتألف من حروف ثلاثة أصلية، قال ابن فارس في مادة (بَدَوَ): "الْبَاءُ وَالدَّالُ وَالْوَاوُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ ظُهُورُ الشَّيْءِ. يُقَالُ: بَدَا الشَّيْءُ يَبْدُو: إِذَا ظَهَرَ، فَهُوَ بَادٍ".[1]

وقال الأزهري:" الظُّهور: بُدُوُّ الشَّيْء الخفيّ والظُّهور: الظَّفَر بالشَّيْء والاطّلاع عَلَيْهِ".[2]

وقال ابن منظور: "بَدا الشيءُ يَبْدُو بَدْواً وبُدُوّاً وبَداءً وبَداً؛ وأَبْدَيْته أَنا: أَظهرته. وبُدَاوَةُ الأَمر: أَوَّلُ ما يبدو منه؛ وبادي الرأْي: ظاهرُه.[3] وبدا الشيء بدوءاً وبداءً: ظهر ظهوراً بيّناً.[4]

وفي عرف النحاة البداء بمعنى الظهور، وقد أقرّ سيبويه أنّ معنى الفعل (بَدا) (ظَهَرَ) في قوله تعالى: (ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ) (يوسف:35) ؛ لأنه موضع ابتداء، كأنك قلت: ظَهَرَ لهم أهذا أفضلُ أم هذا.[5]

والبداء كما قلنا سابقاً مشتق من الفعل (بدا) وهو يتعدّى باللام، كقوله تعالى: (وَ بَدا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ)(الزّمر: 47) يعني به ظهر لهم من أفعال الله تعالى بهم ما لم يكن في حسبانهم وتقديرهم، وقوله تعالى:(وَ بَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَ حاقَ بِهِمْ) (الزّمر: 48) يعني ظهر لهم جزاء كسبهم، وبان لهم ذلك، تقول العرب: (قد بدا لفلان عملٌ حسنٌ، وبدا له كلامٌ فصيحٌ) كما يقولون: (بدا من فلان كذا)، فيجعلون اللام قائمة مقام اللام، فالمعنى في قول الإمامية: (بدا لله في كذا) أي: ظهر له فيه، ومعنى (ظهر فيه) أي: (ظهر منه)، وليس المراد منه تعقب الرأي، ووضوح أمر، كان قد خفي عنه عزّ وجلّ، وجميع أفعاله تعالى الظاهرة في خلقه معلومة له فيما لم يزل، وإنّما يوصف منها بالبداء ما لم يكن في الاحتساب ظهوره، ولا في غالب الظّنّ وقوعه، فأمّا ما علم كونه وغلب في الظنّ حصوله، فلا يستعمل فيه لفظ البداء. والبداء طريقه السمع دون العقل و قد جاءت الأخبار به عن أئمة الهدى عليهم السّلام، والأصل في البداء الظهور.[6]

وأطلق لفظ البداء في أصل اللغة على تعقّب الرأي، والانتقال من عزيمة إلى عزيمة، وإنّما أطلق على الله تعالى على وجه المجاز والاستعارة، كما يطلق عليه الغضب والرضا مجازاً لاحقيقةً، وهذا الرأي لا يضرّ بالمذهب؛ إذ إنّ المجاز من القول يطلق على الله تعالى فيما ورد به السمع، وقد ورد السّمع بالبداء، فالبداء عن الإمامية : الظهور بعد الخفاء[7]. أمّا العلمُ بعد الجهل، فلا تعتقد به الإمامية؛ لأنّه لا يطلق على الله تعالى ؛ لأنّه سبحانه وتعالى كان، ومازال يعلم كلّ شيء قبلُ وبعدُ، ولم يكن شيءٌ خافياً عليه. والروايات عن آل البيت كثيرة، فـ"عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: (إنّ اللهَ يقدّم ما يشاءُ ويؤخّرُ ما يشاءُ ويمحو ما يشاءُ ـ ويثبتُ ما يشاء وعنده أمُّ الكتابِ ، وكلُّ أمرٍ يريدُه اللهُ، فهو في علمه قبلَ أن يضعه ، وليس شيء يبدو له إلّا وقد كان في علمه ـ أنّ الله لا يبدو له من جهلٍ).[8]

ثانياً ــ البداء اصطلاحاً :

البداء في الاصطلاح إنشاء رأي جديد لم يكن موجوداً من قبلُ، والبداء كما رأينا في اللغة مشتق من الفعل (بَدا) الذي لا فاعل له في أغلب الظنّ، فقد جاء في التعريفات للجرجاني:" البداء: ظهور الرأي بعد أنْ لم يكن. والبدائية: هم الذين جوزوا البداء على الله تعالى".[9]

وقد ساق الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل) معانيَ متعددة للبداء، هي :

1- "البداء في العِلم : أن يظهر له خلاف ما علم، ولا أظنُّ عاقلاً يعتقد هذا الاعتقاد.
2- والبداء في الإرادة، : أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحَكَمَ.
3- والبداء في الأمر: أن يأمر بشيء ثم يأمر بشيء آخر بعده بخلاف ذلك".[10]

والبَدَاءُ: تغيير المصير والمقدّر بالأعمال الصالحة والطالحة، وتأثيرها فيما قدّر الله تعالى من التقدير المشترط، قال تعالى: (ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ)(الأنعام: 2) فبيَّن أن الآجال على ضربين، وضرب منهما مشترط يصح فيه الزيادة والنقصان ، كقوله تعالى: (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (فاطر:11).

وقد أوضح الإمام الصادق (عليه السلام) أمر البداء بقوله: (فكلُّ أمرٍ يريدُه اللهُ، فهو في علمه قبلَ أنْ يصنعَه، ليس شيءٌ يبدو له إلاّ وقد كانَ في علمِه، إنّ الله لا يبدو لهُ من جهلٍ).[11]

ويجب أن نفرق بين صدور البداء من الله تعالى، ومن صدوره من الإنسان، فإذا نسب البداء إلى الله سبحانه، فهو بداء منه، وإذا نُسب إلى النّاس، فهو بداء لهم، فالبداء من الله هو إظهار ما خفي على الناس، والبداء من الناس بمعنى ظهور ما خفي لهم، و"البداء من الأوصاف التي ربّما تتصف بها أفعالنا الاختيارية من حيث صدورها عنا بعلمنا واختيارنا، فإنّا لا نريد شيئاً من أفعالنا الاختيارية إلاّ بمصلحة داعية إلى ذلك تعلق بها علمنا، وربما تعلق العلم بمصلحة، فقصدنا الفعل ثمّ تعلق العلم بمصلحة أخرى، توجب خلاف المصلحة الأولى، وعلى ذلك نبدّل أفعالنا على وفق مستجدات المصلحة الجديدة، بما فيها من فائدة زائدة على الأولى، فتقول: (بدا لنا أنْ نفعلَ كذا)، أي: ظهر لنا بعدما كان خفياً عنّا في السابق، فالبداء: ظهور ما كان خفياً من الفعل لظهور ما كان خفياً من العلم بالمصلحة، ومن ، ثم توسّع في استعمال البداء، فأصبح البداء يطلق على ظهور كلّ فعل كان الظاهر خلافه. [12]

المبحث الثاني : البداء عند الشيعة الإمامية:

أوّلاً ــ مذهب الشيعة الإمامية في عقيدة البداء:

ذهبت الشيعة الإمامية مذهبين في البداء:

1 ـ البَدَاء: بمعنى ظهور الشيء ظهوراً بيّناً بعد الخفاء، وهذا النوع من البداء عند الإماميّة لا يطلق على الله سبحانه وتعالى بتاتاً. لاستلزامه حدوث علمه تعالى بشيء بعد جهله به ، وهذا الرأي لا يعتقد به أيّ مسلم؛ لأنّه خلاف ما ورد في القرآن والسنة الشريفة، والروايات المروية عن أهل البيت عليهم السّلام، وعليه، فلا يطلق البَدَاء بهذا المعنى على الله سبحانه. فالشيعة الإماميّة الذين يسعون إلى تنزيهه سبحانه من كلّ نقص وعيب، يستحيل عليهم أنْ يطلقوا البَدَاء على الله بهذا المعنى، بل لهم في ذلك روايات كثيرة تنمّ عن رأيهم المصيب، وإنكارهم ذلك، والبراء ممّن يعتقد هذا الاعتقاد .[13] وقد علّل ذلك السيد الخوئي بقوله: " إنّ القضاء الحتمي المعبّر عنه باللوح المحفوظ ، وبأم الكتاب والعلم المخزون عند الله تعالى، يستحيل أن يقع فيه البداء، وكيف يتصور فيه البداء، وأنّ الله سبحانه عالم بجميع الأشياء منذ الأزل، لا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء".[14]

وقد ذهب أهل البيت إلى أنّ الله تعالى عالم بكل شيء، ولا يخفى عليه شيء من الأزل إلى الآن، هو عالم بكلّ الأمور ومحيط بها في كل زمان ومكان، ومن روى عكس ذلك ، فهو مخطئ، ويجب البراءة منه، وقد وروى الصدوق في (إكمال الدين) بإسناده عن أبي بصير وسماعة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يَبْدُو لَهُ فِي شيء الْيَوْمَ لَمْ يَعْلَمْهُ أَمْسِ فَابْرَءُوا مِنْهُ)[15]. فالبداء كما لا حظنا من قوله عليه السّلام لا يستلزم نسبة الجهل إلى الله سبحانه، وليس في هذا الالتزام ما ينافي عظمته وجلاله. وهو خلاف ما نسبه أهل السنة إلى الإمامية.

2 ـ القول بالبداء الاعتراف الصريح بأن العالم تحت سلطان الله وقدرته في حدوثه وبقائه ، وأن إرادة الله نافذة في الأشياء أزلاً وأبداً ، والقول بالبداء يتضح الفارق بين العلم الإلهي علم الله تعالى، وعلم المخلوقين الناس ، فعلم المخلوقين ـ وإن كانوا أنبياء أو أوصياء، لا يحيط بما أحاط به علمه تعالى، فإن بعضاً منهم، وإن كان عالماً ـ بتعليم الله إياه بجميع عوالم الممكنات لا يحيط بما أحاط به علم الله المخزون الذي استأثر به لنفسه ، فإنه لا يعلم بمشيئة الله تعالى ـ لوجود شيء ، أو عدم مشيئته إلا حيث يخبره الله تعالى به على نحو الحتم. [16].

ومن هنا، فالله تعالى لا يخفى عليه شيء علم بما في الصدور، بما يسرّ الإنسان ويخفيه، وبكلّ شيء على وجه الأرض، ولا يجوز نسبة الجهل بعد العلم لله تعالى، فالنصوص الشريفة من القرآن و

الحديث تؤكد بطلان هذا الإطلاق كلياً ، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَىَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء ﴾ (آل عمران:5) وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء ﴾ (إبراهيم:38) .

فالآيتان الكريمتان تؤكدان بطلان هذا النوع من البداء على الله تعالى إطلاق كلياً.

ومن إخبار الله تعالى انبياءه بأشياء قد تحصل إخباره عيسى عليه السّلام عن الغيوب، وبما يأكل الناس وما يدّخرونه في بُيوتهم ، بإذنه تعالى، وتجلّى ذلك في قوله تعالى : ﴿وأُنَبِّئُكُم بِما تَأْكُلُونَ وما تَدَّخِرُونَ فِي بُيوتِكُم أن فِي ذَلِكَ لآيةً لَكُم أن كُنْتُم مؤْمنينَ﴾ (آل عمران:49) وهذا النوع من المعجزات إخباره عليه السّلام عن الغيوب، وأُخبِرُكم بما تَأكلونَه وما تدَّخِرونه في بُيوتِكم فلا تأكلونه، دون أن أُعاينَ ذلك، أو يأتِيني أحدٌ بخبَرِه، خاصاً به، " وكلّ إنسان - مثلاً - يأكل طعامه بألوان مختلفة يعرفها هو، ولا يعرفها الآخرون. والإنباء بألوان الطعام التي يأكلها كل إنسان هي خاصية أحداث؛ لأنّ كل واحد يأكل أكلاً معينا، فيقول له عيسى ابن مريم: ماذا أكل، وليس من المعقول أن يكون عيسى ابن مريم قد دخل كلّ بيت أو جاءت له أخبار عن كل بيت، وهذا العلم من النبي عيسى عليه السلام إنّما هو من الله تعالى، وهذا ما يسمّى بالظهور بعد الخفاء.

ومن هنا يتضح الفارق في عقيدة البداء بين العلم الإلهي، وبين علم المخلوقين ، فعلم المخلوقين - وإن كانوا أنبياء أو أوصياء لا يخرج علمهم عمّا علمهم إياه الله تعالى على خلاف علمه تعالى العالم بكلّ شيء -

ثانياً: أدلة الإمامية على عقيدة البداء

لمسألة البداء أهمية كبيرة في عقائد الشيعة الإماميّة، وتحتلّ الحيّز الاوسع في تفكيرهم الديني المعتقدي. غير أنه هذه المسألة هوجمت هجوماً عنيفاً، ولاقت نقداً لاذعاً من علماء السنّة. فعند مرورهم على أيّة فكرة أو موضوع متعلّق بالبداء يردونه بالرفض. فالشيعة الإمامية تعدّ مسألة البداء من عقائد الدين المهمة التي لا غنى عنها في مناقشة أي موضوع يتعلّق بالظهور بعد الخفاء ، ولا سيّما البداء، في حين لم يعرف علماء السنة مقصود آل البيت من هذه المسألة التي تخصّ جوهر الدين والاعتقاد، فلذلك لا قت هذه المسألة عندهم بالهجوم والرفض ، وهذا الرأي على حسب رأي المثقفين والباحثين الشيعة يهدم أركان الدين.[17]

فمسألة البداء عند الشيعة الإمامية مسألة مسلّم بها، غير قابلة للنقاش، وقد جاء عن آل البيت روايات متعددة للاعتقاد بمسألة البداء منها :

1- اتفاق الإماميّة على هذه المسألة باحتجاجهم بما جاء في نصوص الكتاب، والسنّة والبراهين العقليّة على أنّه سبحانه عالم بالأشياء والحوادث كلّها غابرها وحاضرها ومستقبلها، كليّها وجزئيها، لا يخفى عليه شيء في السّماوات والأرض. فما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: (إِنَّ اللَّـهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) (آل عمران : ٥). وقوله تعالى : (وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّـهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) (إبراهيم : ٣٨).

وممّا جاء في الروايات عن آل البيت عليهم السلام، قول الإمام علي(عليه السلام) :(كلّ سرّ عندَك علانيةٌ، وكلُّ غيبٍ عندَك شهادةٌ)[18]. وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (كانَ اللهُ ولا شيءَ غيرَه ، ولم يزلِ اللهُ عالماً بما كوّن ، فعلمُه به قبل كونه، كعلمه به بعد ما كوّنه) [19].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) في البداء: (إنّ لله علمين: علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو، من ذلك يكون البداء، وعلم علمه ملائكته ورسله وأنبيائه ونحن نعلمه) [20]. وكقوله (عليه السلام):(من زعم أنَّ الله عزّ وجلّ يبدو في شيء لم يعلمه أمس، فابرأوا منه) [21].

وقال أيضاً (عليه السّلام) : (فكلّ أمر يريده الله فهو في علمه قبل أنْ يصنعه ليس شيء يبدو له إلّا وقد كان في علمه ، إنَّ الله لا يبدو له من جهل) [22].

وقال الإمام الكاظم (عليه السلام) : (لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء ، كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء) [23].

وقال الإمام أبو الحسن الرضا (عليه السلام) : (إنّ الله عِلْم لا جهل فيه ، حياة لا موت فيه، نور لا ظلمة فيه. قال كذلك هو) [24].

هذه روايات أئمّة الشيعة في سعة علمه سبحانه وتعالى [25]، وامتناع البداء عليه بمعنى الظهور بعد الخفاء، وهم في الوقت نفسه يقولون : (ما عُبِد اللهُ بشيءٍ مثلِ البداءِ)، ويقولون : (ما بَعث الله نبيّاً حتّى يأخذ عليه ثلاث خصال : الإقرار بالعبوديّة ، وخلع الأنداد ، وأنَّ الله يقدم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء)[26] ويقولون :(ما تَنبأ نبيّ قطّ حتّى يقرَّ لله تعالى بخمس : البداء والمشئية)[27] .

ويقولون : (لو يعلم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ، ما فتروا عن الكلام فيه) [28]

فهل يصحّ أن ينسب إلى عاقل فضلاً عن باقر العلوم، وصادق الأُمّة القول بأنَّ الله لم يعبد ولم يعظّم إلّا بالقول بظهور الحقائق له بعد خفائها عنه ، والعلم بعد الجهل ، كلّا. كلّ ذلك يؤيّد أنَّ المراد من البداء في كلمات هؤلاء العظام غير ما يفهمه المعترضون سواء أكان إطلاق البداء عليه حقيقة أم كان من باب المجاز. وقد روى

الكليني في الكافي عن الصادق (عليه السلام) قوله : (ما عظّم الله بمثل البداء). [29].

2- الاعتراض على الشيعة الإمامية في عقيدة البداء:

إنّ الذين اعترضوا على الشيعة الإمامية بقولهم بعقيدة البداء، لم يعرفوا المقصود من قولهم هذا، بأنّ البداء هو الظهور بعد الخفاء، ولا يشمل هذا علم الله تعالى وجبروته وملكوته، وعلمه بكل شيء منذ الأزل إلى الآن، بل يجب عليهم مراجعة كتب الشيعة، وفهم مقصودهم من مسألة البداء، فاتهام الشيعة بأنهم يقولون بالبداء على الله تعالى، لا يجوز، وعليه يلزم من هذا القول الجهل على الله تعالى. والمنكرون على الشيعة الإمامية، كانوا قد غفلوا عن أن أتباع أئمة أهل البيت (عليهم السلام) براء من ذلك المعنى الذي قاله المنكرون، وقد جاء في الروايات ما يدحض هذه الافتراءات على الشيعة الإمامية، قال السيد الخوئي : "إنّ القضاء الحتمي المعبّر عنه باللوح المحفوظ، وبأم الكتاب والعلم المخزون عند الله يستحيل أن يقع فيه البداء، وكيف يتصور فيه البداء وان الله سبحانه عالم بجميع الأشياء منذ الأزل، لا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء. ". [30]

روى الصدوق في (إكمال الدين) بإسناده عن أبي بصير وسماعة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (من زعم أن الله عز وجل يبدو له في شيء اليوم لم يعلمه أمس فأبرؤوا منه). والبداء: إنما يكون في القضاء الموقوف المعبّر عنه بلوح المحو والإثبات والالتزام بجواز البداء فيه لا يستلزم نسبة الجهل إلى الله سبحانه وليس في هذا الالتزام ما ينافي عظمته وجلاله. [31]

ثالثاً: أدلة علماء الشيعة الإمامية في عقيدة البداء:

للشيعة الإمامية أدلة متعددة قالوا فيها بالبداء، وهي:

1- القرآن الكريم:

إنّ قول الشيعة الإمامية بأنّ البداء هو الظهور بعد الخفاء، يؤيده آيات قرآنية حكيمة ، كقوله تعالى: (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) (الزمر:48) أي: ظهرَ لهم ما كان خافياً عليهم سيئات ما كسبوا . وقوله تعالى : (ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ) (يوسف:35) . [32]

وقد فرق علماء الشيعة الإمامية بين هذا المعنى من البداء الذي يحصل كثيراً ما للإنسان فقط . وبين البداء الذي لا يحصل لله تعالى سبحانه من نسبة الجهل إليه ، فلا يحصل في حقّ الله عز وجل؛ لأنه يلزم الجهل عليه، وهذا الإطلاق لا يجوز في حقّه تعالى، وقد اتفقت الشيعة الإماميّة على انّه سبحانه وتعالى لا يجهل شيئاً، بل هو عالم بالحوادث كلِّها: غابرها وحاضرها ومستقبلها، لا يخفى عليه شيء لا في الأرض، ولا في السماء فلا يتصور فيه الظهور بعد الخفاء، ولا العلم بعد الجهل بل الأشياء بكل دقائقها وتفاصيلها حاضرة لديه، والدليل على ذلك قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ) (آل عمران:5). [33]

2- السنة المروية عن طريق أئمة أهل البيت (عليهم السلام) - كقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلاَنِيَةٌ، وَكُلُّ غَيْب عِنْدَكَ شَهَادَةٌ) [34].

ومنه قول الامام الكاظم (عليه السلام): (عليكم بالدعاء، فإنّ الدعاءَ لله والطلب إلى الله يرد البلاء، وقد قدّر وقضى، ولم يبقَ إلاّ امضاؤه، فإذا دعي الله، وسُئِل صرف البلاءَ صرفه) [35] .

المبحث الثالث: البداء عند أهل السنة

أولاً ــ إنكار أهل السنة لعقيدة البداء:

لقد أنكرت طائفة من أهل السنة عقيدة البداء عند الشيعة الإمامية، وحجتهم في ذلك أنه لا يجوز نسبة الجهل إلى الله تعالى بعد العلم ؛ إذ حجتهم في ذلك نسبة الجهل إلى الله تعالى بعد العلم. ومن هؤلاء ابن تيمية؛ إذ قال: "معلوم أن هذا من أعظم النقائص في حقّ الربّ، فإذا قالوا مع ذلك إنّ الأنبياء والأئمة لا يبدو لهم خلاف ما رأوا، فقد جعلوهم لا يعلمون ما لم يكونوا يعلمونه في مثل هذا، وقالوا بجواز ذلك في غيره". [36] .

ومنهم الإمام الغزالي الذي رأى أن الشيعة الإمامية لم يكن لديها المعرفة الكافية في عقيدة البداء؛ لذلك ذهبوا هذا المذهب بالإقرار بالبداء من غير أدلة كافية، ونقلوا عن علي رضي الله عنه أنه كان لا يخبر عن الغيب مخافة أن يبدو له تعالى فيه، فيغيره، وحكوا عن جعفر بن محمد أنه قال: ما بدا لله شيء كما بدا له إسماعيل أي: في أمره بذبحه، وهذا لا يجوز في نسبة الإله تعالى إلى الجهل والتغيير. [37]

وقد ذهب عبد القاهر البغدادي المذهب نفسه في عدم معرفة الإمامية بعقيدة البداء على النحو الذي لدى علماء السنّة، لحد اعترافه بعدم اتباع عقيدة آل البيت عليهم السلام في عقيدة البداء؛ والابتعاد عن إجازتهم على الله البداء واجب على السنة، ، وأنّ قول الإمامية بأنه يريد شيئاً ثم يبدو له، وزعمهم أنه إذا أمر بشيء ثم نسخه فإنّما نسخه؛ لأنه بدى له فيه. وما رأينا ولا سمعنا بنوع من هذه الآراء من علمائنا إلا أننا وجدنا شعبة من آل البيت يؤيدون ذلك [38].

ومن هؤلاء فخر الدين الرازي الذي ذهب المذهب نفسه في رفض رأي الإمامية في الْبَدَاءُ بأنه جَائِزٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ أَنْ يَعْتَقِدَ شَيْئًا ثُمَّ يَظْهَرُ لَهُ أَنَّ الْأَمْرَ بِخِلَافِ مَا اعْتَقَدَهُ، وَتَمَسَّكُوا فِيهِ بِقَوْلِهِ: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشاءُ وَيُثْبِتُ. وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا بَاطِلٌ لا يجوز لِأَنَّ عِلْمَ اللَّهِ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ الْمَخْصُوصَةِ، وَمَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ دُخُولُ التَّغَيُّرِ وَالتَّبَدُّلِ فِيهِ مُحَالًا.[39]

ولعلماء الشيعة ردّهم على آراء علماء السنة، ودفاع عن رأيهم بأنّ البداء لا يجوز إطلاقه على الله تعالى، وقد برؤوا ممّن يذهب هذا المذهب، ومن هنا لا حجة لأهل السنة على ذلك، والروايات عنهم عليهم السّلام محفوظة ومعروفة، فقد ردّ العلامة المجلسي على هؤلاء، ودحض رأيهم الذي عدّه لا يليق بالأئمة عليهم السّلام، بقوله عن الرازي: ولا أدري من أين أخذ هذا القول الذي افترى عليهم؟ مع أن كتب الإمامية المتقدمين عليه: كالصدوق والمفيد والشيخ والمرتضى وغيرهم، رضوان الله عليهم مشحونة بالتبري عن ذلك، والعجب أنّهم في أكثر الموارد ينسبون إلى الربّ تعالى مالا يليق به، والإمامية قدس الله أسرارهم يبالغون في تنزيهه تعالى، ويفحمونهم بالحجج البالغة، ولما لم يظفروا في عقائدهم بما يوجب نقصاً، يباهتونهم ويفترون عليهم بأمثال تلك الأقاويل الفاسدة، وهذا دأب العاجزين؟ ولو فرض أن بعضاً من الجهلة المنتحلين للتشيع قال بذلك، فالإمامية لا تجيز ذلك ، وأقاويلهم الفاسدة .[40]

وقد دافع المازندراني كذلك عن عقيدة البداء عند الإمامية ، بأنّ الظهور بعد الخفاء ؛ وكون عدم لعلم به جهلاً بغابر الأمور لا تطلقه الإمامية على الله تعالى، بل برأت ممّن قال بذلك، بقوله: "البداء بالفتح والمد في اللغة ظهور الشيء بعد الخفاء وحصول العلم به بعد الجهل، واتفقت الأمة على امتناع ذلك على الله سبحانه إلاّ من لا يعتد به، وهذا افتراء على الإمامية.[41]

وفنّد العلاّمة السيد عبد الحسين شرف الدين هذه المسألة بقوله: " فالنزاع في هذه المسألة بيننا وبين أهل السنة لفظي ، ثم يقول: فإن أصرّ غيرنا على هذا النزاع اللفظي وأبى التجوّز بإطلاق البداء على ما قلناه ، فنحن نازلون على حكمه، فليبدل لفظ البداء بما يشاء وليتق الله ربه في أخيه المؤمن". [42]

ثانياً: الفرق بين البداء والنسخ

والبداء أشبه بالنسخ، غير أنّ النسخ يكون في الأمور التشريعية، فالله تعالى يُشرّع أمراً ويستمر هذا التشريع لفترة معينة، ثمّ يستبدل هذا التشريع بتشريع آخر؛ لأنّ التشريع الأول لا يصلح للزمان اللاحق. أمّا البداء عند الله، ليس بمعنى أن يكون جاهلاً بأمر ثمّ علم به بعد ذلك، بل بمعنى: تغيّر الإرادة وتبدّل العزم عند الله بسبب عمل يقوم به الإنسان، والدليل على ذلك ، قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.(الشورى:24) والبداء يقع في التكوينيّات، أي: في الحوادث والوقائع الملموسة والخارجية التي وقعت أو سوف تقع ، ولا علاقة له بالجانب التشريعي، أي: لا يرتبط بوظائف المكلّفين ؛ في حين أنّ النسخ هو الحكم الإلهي التشريعي بحذف وظيفة عمليّة أو تبديلها بوظيفة أخرى لمصلحة يراها الباري عزّ وجل ، ولا صلة لها بالحوادث والوقائع، بل يرتبط بتحديد وظائف العباد من حيث العمل والتكليف، يقول ابن حزم: "الفرق بينهما لائح، وهو أن البَداء أن يأمر بالأمر، والآمِر لا يدري ما يؤول إليه الحال، والنَّسخ: هو أن يأمر بالأمر والآمِر يدري أنه سيحيله في وقت كذا، ولا بد قد سبق ذلك في علمه وحتمه من قضائه، فلمّا كان هذان الوجهان معنيينِ متغايرين مختلفين، وجب ضرورة أن يعلق على كلّ واحد منها اسمٌ يعبَّر به عنه غيرُ اسم الآخر؛ ليقع التفاهم ويلوح الحق؛ فالبَداء ليس من صفات الباري تعالى، ولسنا نعني الباء والدال والألف، وإنما أن يأمر بالأمر لا يدري ما عاقبته، فهذا مبعد من الله عز وجل، وسواء سمّوه نسخًا أو بَداءً أو ما أحبوا، وأما النَّسخ فمن صفات الله تعالى من جهة أفعاله كلّها، وهو القضاء بالأمر قد علم أنه سيحيله بعد مدة معلومة عنده عز وجل، كما سبق في علمه تعالى.[43] وقد فرق ابن الجوزي أيضاً بين البداء والنسخ، بقوله : "فأمّا الفرق بين النسخ والبداء ، فذلك من وجهين :

الأول : أن النسخ : تغيير عبادة أُمر بها المكلَّف، وقد علم الآمر حين الأمر أن لتكليف المكلف به غاية ينتهي الإيجاب إليها ثم يرتفع بنسخها. والبداء : أن ينتقل الأمر عن ما أمر به وأراده دائماً بأمر حادث ، لا بعلم سابق.

الثاني : أنّ سبب النسخ لا يُوجب إفساد الموجب لصحة الخطاب الأول، والبداء يكون سببه دالاً على إفساد الموجب لصحة الأمر الأول ، مثل : أن يأمره بعمل يقصد به مطلوباً ، فيتبين أن المطلوب لا يحصل بذلك الفعل ، فيبدو له ما يوجب الرجوع عنه ، وكلا الأمرين يدل على قصور في العلم ، والحق عزَّ وجلَّ منزَّهٌ عن ذلك [44].

ويقول النحاس : أن النسخ تحويل العباد من شيء قد كان حلالاً، فحرّم أو كان حراماً، فيحلّل أو كان مطلقاً، فيحظر أو كان محظوراً، فيطلق أو كان مباحاً، فيمنع أو ممنوعاً، فيباح إرادة الإصلاح للعباد. وقد علم الله جل ثناؤه العاقبة في ذلك وعلم وقت الأمر به أنه سينسخه الى ذلك الوقت، فكان المطلق على الحقيقة غير المحظور. كتحريم السبت كان في وقت بعينه على قوم، ثم نسخ، وأُمر قوم آخرون بإباحة العمل فيه. وكان الأول المنسوخ حكمة وصواباً، ثم نسخ وأزيل بحكمة وصواب. وكذلك لم يقع

النسخ في الأخبار لما فيها من الصدق والكذب، وأمّا البداء، فهو ترك ما عزم عليه. وقد غلط جماعة في الفرق بين النسخ والبداء كما غلطوا في تأويل الأحاديث حملوها على النسخ أو على غير معناها. [45]

وقد ردّ علماء الشيعة على هذا الاعتقاد عند السنة، ومن ذلك قول السيد محمد باقر الحكيم:" ومع كلّ هذا، فالمعروف من مذهب الإمامية الاثني عشرية أنهم يقولون بفكرة البداء. وعلى هذا الأساس نجد بعض الباحثين من إخواننا السنة يحملون على إخوانهم الإمامية بشكل عنيف، متهمين إياهم بالانحراف والضلال، حتّى إن بعضهم يكاد يقول: إنّ الإمامية أشدُّ انحرافاً من اليهود والنصارى حين حاولوا إنكار النسخ؛ لأن أولئك أنكروا النسخ في محاولة لتنزيه الله سبحانه من النقص، وهؤلاء قالوا بالبداء فأثبتوا الجهل والنقص لله سبحانه، وانما الفرق بينهما في الموضوع الذي يقع النسخ فيه أو البداء، فالإزالة والتبديل إذا وقعا في التشريع سميناهما نسخاً، وإذا وقعا في الأمور الكونية من الخلق والرزق والصحّة والمرض وغيرها سميناهما بداء" . [46]

المبحث الرابع: فوائد الاعتقاد بالبداء:

للبداء ثمرات وفوائد عند الإمامية على خلاف علماء السنّة الذين اتهموهم بالروافض، منها عقائدية، ومنها تربوية:

المطلب الأول: فوائد عقائدية:

للبداء فوائد عقائدية كثيرة ، منها:

1 ــ الرد على من أنكر البداء، ما ذكره العلامة المجلسي في قوله: " إنّهم عليهم السلام ،أهل البيتٍ، إنّما بالغوا في البداء، ردّاً على اليهود الذين يقولون: إنّ الله قد فرغ من الأمر وعن النظام، وعلى بعض المعتزلة الذين يقولون: إن الله خلق الموجودات دفعة واحدة على ماهي عليه الآن من معادن ونبات وحيوان وإنسان، ولم يتقدم خلق آدم على خلق أولاده، والتقدم إنّما يقع في ظهورها لا في حدوثها ووجودها. وإنّما أخذوا هذه المقالة من أصحاب الفلاسفة القائلين بالعقول والنفوس الفلكية، والقائلين بأنّ الله تعالى لم يؤثر حقيقة إلا في العقل الأول، فهم يعزلونه تعالى عن ملكه، وينسبون الحوادث إليها لا إلى الباري عز وجل".[47] بمعنى: أنَّ تأكيد الأئمة عليهم السلام على البداء، جاء لإبطال كل فكرة تجعل قدرة الله ومشيئته سبحانه وتعالى محدودة بحد معين، وبزمان ومكان معينين، وإثبات أنها حقيقة مطلقة من كلّ الجهات حتى من جهة القدر الذي يقدره بنفسه في عالم التكوين والخلقة والتدبير والربوبية، وأن تقدير الله سبحانه وتعالى لهذه الأقدار لا يجعله مسلوب الإرادة والاختيار إزاءها.

2 ــ الالتزام بالبداء في العقيدة، لا يؤدّي بالضرورة إلى نسبة الجهل إلى الله سبحانه، وليس في هذا الالتزام ما ينافي عظمته وجلاله، فالقول بالبداء، حقيقة يجعل العالم تحت سلطة الله تعالى وقدرته وعلمه، وإن إرادة الله نافذة في الأشياء منذ بدء الخليقة إلى الآن، وبالدوام في كلّ زمان ومكان، والقول بالبداء يتضح الفارق بين العلم الإلهي علم الله تعالى، وبين علم المخلوقين، فعلم المخلوقين من أنبياء أو أوصياء يكون قاصراً بالنسبة إلى علمه تعالى، فإن بعضاً منهم كان يعلم بأمور الغيب في بعض الأمور بإذن الله تعالى كما جاء في قصة النبي عيسى عليه السّلام.

4 ــ القول بالبداء يجعل الإنسان يتوجّه إلى ربّه بالدعاء والتضرّع، وطلب الاستجابة من الله تعالى، وتوفيقه في أموره، والبعد عن الفساد والمعصية والكفر، والاتجاه إلى الدين الصحيح.

5 ــ إنكار البداء يؤدّي إلى القول بأن الله غير قادر على أن يغيّر أيَّ شيء بعد خلقه. ممّا يؤدي إلى انتشار الشرك والطغيان والكفر، وهذا الأمر لا يجوز إطلاقه على قدرة الله تعالى، وعلمه، وجبروته، فهذا الأمر يدفع العبد إلى اليأس، وتوهمه عدم استجابة الله تعالى لدعائه، ممّا يؤدي به إلى عدم التضرع إلى الله تعالى في دعائه، وانتشار الشرك والكفر والفساد.

6 ــ عقيدة البداء تغرس في نفوس المؤمنين الإيمان الصحيح، والعقيدة الإسلامية التي أمر بها الله تعالى في كتابه العزيز، وبها يشعر الإنسان بمراقبة الله تعالى له في كلّ أوقاته وأموره ، فإن أخطأ يغفر له الله ذنوبه، وتزداد علاقة الإنسان بخالقه، والالتزام بأوامره ، والنهي عمّا نهى عنه سبحانه وتعالى.

المطلب الثاني: فوائد تربوية

ومن فوائد البداء التربوية :

1 - أنّ عقيدة البداء ذات أثر تربوي بنّاء في حياة الإنسان، وتصحيح مساره العقائدي نحو الدين الصحيح، والبعد عن ارتكاب المعاصي، والفساد، وقد بيّن العلاّمة المجلسي هذا الأثر في تأكيد الأئمة عليهم السلام على البداء ، وذكر فوائده التربوية ، بقوله : " فنفوا عليهم السّلام ذلك، وأثبتوا أنّه تعالى كل يوم في شأن من إعدام وإحداث آخر، وإماتة شخص وإحياء آخر الى غير ذلك ؛ لئلا يترك العباد التضرع الى الله ومسألته وطاعته ، والقرب إليه بما يصلح أُمور دنياهم وعقباهم، وليرجوا عند التصدق على الفقراء ، وصلة الأرحام ، وبرّ الوالدين والمعروف والإحسان ما وعدوا عليها من طول العمر وزيادة الرزق" .[48]

2 - وقد تتشابه عقيدة البداء مع عقيدة التوبة، فإنّ الإنسان في بداية أمره قد يقدم على ارتكاب المعاصي، والفساد والكفر، ومن ثمّ تظهر له الحقيقة، ممّا يؤدي به إلى التراجع عن الأمر الأول،

فالتوبة قد تقبل منه عند الله تعالى ، ويكون لها أثر إيجابي في بناء الإنسان، والفوز برحمة الله تعالى وغفرانه، وفتح أبواب الأمل والرجاء ، وصولاً إلى إصلاح النفس وتهذيبها، كذلك للبداء هذا الأثر، وبما أن البداء هو التجلّي والظهور بعد الخفاء، فتكون الحقيقة قد وضحت وانجلت للإنسان التائب بعد معرفته بها، وانقشاع الجهل وعدم الدراية بارتكاب المعاصي سابقاً ، وعواقبها عند الله تعالى، فالله تعالى يمحو الذنوب، ويعفو عن عباده إذا تابوا .

3 - عقيدة البداء تقوّي صلة الرحم :

لصلة الرّحم أثر كبير في عقيدة البداء عند الإمامية؛ لأنها توثّق العلاقة بين الناس، وتزيد الإلفة والمحبة، والرحمة، وتزيد من عمر الإنسان كما جاء في الروايات، فهذه الأعمال كلّها أعمال خيّرة تعود إلى الإنسان بالنفع في الدنيا والآخرة ، فقد روى الكليني عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : (يكونُ الرجلُ يصلُ رحمَه فيكون قد بقي من عمره ثلاث سنين ، فيصيّرها الله ثلاثين سنة، ويفعل الله ما يشاء) . [49]

وقد جاء في الروايات أيضاً عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال : (صلةُ الأرحام تزكّي الأعمال ، وتنمي الأموال وتدفع البلوى ، وتيسّر الحساب ، وتنسئ في الآجال). [50]

ولا يقتصر الأمر على روايات آل البيت (عليهم السلام) ممّا رووا، بل روى عنهم أيضاً بعض علماء السنة في هذا المجال، فقد روى السيوطي عن عليّ رضي عليه السّلام : أنّه سأل رسول الله صلّى الله عليه وآله عن هذه الآية : (وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (الشورى:24) فقال له : (لأقرّن عَيْنَيْك بتفسيرها ولأقرن عين أمتِي بعدِي بتفسيرها الصَّدَقَة على وَجهها وبر الْوَالِدين واصطناع الْمَعْرُوف يحول الشَّقَاء سَعَادَة وَيزِيد فِي الْعُمر ويقي مصَارِع السوء) .[51]

4- وكما أنّ للأعمال الصالحة أثراً في مصير الإنسان ، وحسن آخره ، وبثواب من الله على هذا الأمر، وشمول رحمة الله تعالى على عبده، وزيادة عمره وسعة رزقه، كذلك ما يقوم به الإنسان من كفر وضلال وفساد، لابدّ في النهاية من العقاب، والهلاك، وسلب الأمن والاطمئنان، ونشر الجوع والفقر، قال تعالى : (وَضَرَبَ اللَّـهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّـهِ فَأَذَاقَهَا اللَّـهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) (النحل:112). فهذا جزاء من كفر بالله ونعمه.

5 - عقيدة البداء تجعل الإنسان مرتاح البال ، واثقاً من نفسه باتباعه الدين السليم، ونشر المحبة والتآخي بين الناس، وملء قلوبهم بالرحمة والمحبة، والصدق في التعامل، ونشر العدل، وذلك بشعور الإنسان بمراقبة الله تعالى له في حياته. ومن هنا يترك البداء أثراً إيجابيّاً مهمّاً في نفوس الأشخاص، إذ يوجب انقطاع العبد إلى الله تعالى والتوجّه نحوه بالدعاء، لتوفيقه في أعماله ، وردّ الظلم عنه، وإبعاده عن معاصيه، ومن آثار البداء أنّه يحفّز طاعة الوالدين وبرهما، و يقوّي صلة الأرحام ورعاية حال الأيتام والضعفاء والمساكين، وهذه الأعمال التي يقوم بها الإنسان هي عبادة عند الله تعالى. وتؤدي عقيدة البداء دوراً إيجابياً في نفوس المذنبين والخارجين عن طاعة الله تعالى الذين ينشرون الفساد في الأرض إلى وجود أمل لهم بالعودة إلى رشدهم، والتوبة والإصلاح وتبعدهم عن اليأس والقنوط .

الخاتمة والاستنتاج

وفي نهاية هذا البحث نصل إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

1- إنّ عقيدة البداء عند الإماميّة عقيدة صحيحة متجذّرة في قلوبهم، وقد فسّروها على النحو الصحيح .

2- للبداء أهمية كبيرة في عقيدة الإمامية ، وقد ظهر ذلك بوضوح بما في القرآن الكريم وما رُوي عن الرسول (ص) واهل بيته عليهم السّلام.

3- ليس المقصود من عقيدة البداء التي بمعنى الظهور بعد الخفاء علم الله تعالى، كما ذهب علماء اهل السنة الى ذلك، إنّما علمه تعالى لا يحيطه شيء، فهو عالم بخفاء الأمور وظواهرها، من الأزل إلى الآن، وهذا لا يندرج في عقيدة البداء عند الإمامية ، بل هو من الأمور المسلّم بها.

4- ما ذهب إليه بعض علماء السنة بوصفهم عليهم السّلام بالروافض، وعدّوه كُفرًا صريحًا؛ إذ حجتهم في ذلك نسبة الجهل إلى الله تعالى بعد العلم غير صحيح، وقد ردّ علماء الشيعة على هذا ، والاتهام بغير دليل، وذلك بأنّ الظهور بعد الخفاء ؛ وكون عدم العلم به جهلاً بغابر الأمور لا تطلقه الإمامية على الله تعالى، بل برأت ممّن قال بذلك .

5- للبداء أهمية كبرى في الجانبين : العقائدي ، والتربوي، فأهميته من الناحية العقائدية الاعتراف الصريح بأن العالم تحت سلطان الله وقدرته في حدوثه وبقائه، وأن إرادة الله نافذة في الأشياء أزلا وأبدا، بل وفي القول بالبداء يتضح الفارق بين العلم الإلهي وبين علم المخلوقين، فعلم المخلوقين وإن كانوا أنبياء أو أوصياء لا يحيط بما أحاط به علمه تعالى، فان بعضا منهم إن كان عالما بتعليم. ومن الناحية التربوية، فهي ذات أثر تربوي بنّاء في حياة الإنسان، وتصحيح مسيرته نحو الحياة الصحيحة، والتوبة ، والرجوع عن الذنب، وغير ذلك ما يؤدي إلى إبعاد الإنسان عن الفساد والقتل والفتك.

القول بالبداء يوجب انقطاع العبد إلى الله وطلبه إجابة دعائه منه وكفاية مهماته، وتوفيقه للطاعة، وإبعاده عن المعصية.

الهوامش

(1) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) : 212/1.

(2) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة :138/6.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة : (بدا).

(4) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن : 113. والأستاذ آية الله الشيخ جعفر السبحاني، بقلم: الشيخ حسن محمّد مكي العاملي ،الإلهيات على هدى الكتاب والسنّة والعقل ـ 2: 221/2.

(5) عمرو بن عثمان بن قنبر ، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ)، الكتاب :110/3.

(6) الشيخ المفيد(ت413 ق) ، تصحيح اعتقادات الإمامية : 66/1.

(7) الشيخ المفيد(ت413 ق) ، تصحيح اعتقادات الإمامية :67/1.

(8) العلامة الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن : 381/11 .

(9) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ، التعريفات : 43.

(10) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ،أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، الملل والنحل : 148/1.

(11) العلامة المجلسي ، بحار الأنوار: 121/4.

(12) الشيخ الكليني(329 ق) ،الكافي (طـ الإسلامية) :146/1 .

(13) آية الله الشيخ جعفر السبحاني، بقلم: الشيخ حسن محمّد مكي العاملي ، الإلهيات على هدى الكتاب والسنّة والعقل ـ 2: 221/2.

(14) السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي ، البيان في تفسير القرآن :1/ 391 .

(15) الشيخ الصدوق(381 ق)، كمال الدين و تمام النعمة : 1 /70 .

(16) السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي ، البيان في تفسير القرآن :1/ 391 .

(17) الأستاذ آية الله الشيخ جعفر السبحاني، بقلم: الشيخ حسن محمّد مكي العاملي ، الإلهيات على هدى الكتاب والسنّة والعقل ـ 2: 221/2.

(18) ابن أبي الحديد (586 - 656) ، شرح نهج البلاغة :١٩٤/7 .

(19) الشيخ الكليني ، الكافي :1/ ١٠٧ ، العلامة المجلسي، بحار الأنوار ،ج ٤ ، باب العلم وكيفيّته ، ح ٢٣ ، 4/ ٨٦.

(20) محمد الري شهري ، ميزان الحكمة :1/ ٢٤٠ .

(21) محمد الري شهري ، ميزان الحكمة :1/ ٢٤٠ .

(22) العلامة المجلسي، بحار الأنوار ، باب العلم وكيفيّته ، 4/ ١٢١ ، الحديث ٦٣.

(23) الشيخ الكليني، الكافي باب صفات الذات ، 1/ ١٠٧.

(24) العلامة المجلس، بحار الأنوار ، ج ٤ ، ص ٨٤ ، الحديث ١٧.

(25) العلامة المجلس ، بحار الأنوار ، الأحاديث ١١ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٦ ، 4/ ١٠٧ ـ ١٠٨.

(26) الشيخ الصدوق، التوحيد : ٣٣٣.

(27) مولي محمد صالح المازندراني ، شرح أصول الكافي :4/ ٢٥٣.

(28) العلامة المجلسي، بحار الأنوار ، الأحاديث ١١ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٦ ، 4/ ١٠٧ ـ ١٠٨.

(29) الشيخ الكليني ،الكافي، ط الاسلامية :146/1 .

(30) السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي ، البيان في تفسير القرآن:1/ 391 .

(31) الشيخ الصدوق(381 ق) ، كمال الدين وتمام النعمة : 1 / 70 .

(32) شيخ الطائفة الإمام أبي جعفر محمد بن الحسن بن الطوسي (رحمه الله) (385 - 460 ه)، العدة في أصول الفقه :2/ ٤٩٥ ، العلامة المجلسي، بحار الأنوار :4/ ١٢٥ .

(33) السيد الطباطبائي ، تفسير الميزان : 12/ ٤٤ .

(34) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة:١٩٤/7.

(35) الشيخ الكليني ، الكافي : 2/ ٤٧٠ .

(36) شيخ الإسلام ابن تيمية ، منهاج السنة النبوية : 2/ 395 .

(37) الإمام الغزالي، المستصفى : 1/ 110 .

(38) البغدادي، الفرق بين الفرق: 357 .

(39) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير :52/19.

(40) العلامة المجلسي ، بحار الأنوار :4/ ١٢٥ .

(41) محمد صالح المازندراني ، شرح أصول الكافي : 4/ 236 .

(42) شرف الدين، عبد الحسين، أجوبة مسائل جار الله: 102.

(43) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام: 4 / 471 .

(44) ابن الجوزي ، نواسخ القرآن : 15 .

(45) أبو جعر النحاس، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم : 11 .

(46) آية الله السيد محمد باقر الحكيم ، علوم القرآن : 200.

(47) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 4، 129 – 130.

(48) العلامة المجلسي ، بحار الأنوار :4/ ١٣٠.

(49) الشيخ الكليني، الكافي: 2 / 149، باب صلة الرحم، الحديث 3. مولي محمد صالح المازندراني ، شرح أصول الكافي :9/ ٨.

(50) الشيخ الكليني، الكافي : 2 / 150 ، باب صلة الرحم ، الحديث 4. العلامة المجلسي، بحار الأنوار :٧١ / ١١١ ، محمد الري شهري ، ميزان الحكمة :2/ ١٠٥٥.

(51) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ،الدر المنثور: 661/4.

المصادر

القرآن الكريم

- ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، إيران ، ط 2 . (1967 م - 1387 هـ ،1404 هـ ق) .
- ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ) ، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المحقق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار الكتب العلمية،1436ط1، ه، 2005م.
- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ) ، الإحكام في أصول الأحكام، قوبلت على الطبعة التي حققها: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت .
- البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩هـ) ، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، ١٩٧٧م.
- الجرجاني ، علي بن محمد بن علي الشريف (ت ٨١٦هـ)، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ، ط1، ١٩٨٣م .
- الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)، نواسخ القرآن، ناسخ القرآن ومنسوخه، تحقيق: محمد أشرف علي المليباري، وأصله رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية ،الدراسات العليا ، التفسير ، ١٤٠١هـ،عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط2، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- الحكيم ، محمد باقر ، علوم القرآن ، مجمع الفكر الإسلامي ، ط3، ربيع الثاني 1417 هـ. ق ،قم مطبعة مؤسسة الهادي ، قم .
- الخوئي ، أبو القاسم الموسوي ، البيان في تفسير القرآن ، دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان .
- الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط3 ، ١٤٢٠ هـ.
- الرازي ، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- الراغب الأصفهانى ، أبو القاسم الحسين (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية ، دمشق بيروت، ط1، ١٤١٢ هـ .
- السبحاني ، جعفر ، المحاضر، بقلم: الشيخ حسن محمّد مكي العاملي، الإلهيات على هدى الكتاب والسنّة والعقل - 2، المركز العالمي للدراسات الإسلامية ، ط4، المطبعة: مطبعة القدس، تاريخ الطبع: 1413 هـ . ق .
- السبحاني ،جعفر ، بقلم: الشيخ حسن محمّد مكي العاملي ،الإلهيات على هدى الكتاب والسنّة والعقل - 2، المركز العالمي للدراسات الإسلامية ، ط4، مطبعة القدس، 1413 هـ . ق .
- شرف الدين، عبد الحسين، أجوبة مسائل جار الله، صيدا – لبنان، مطبعة العرفان، ط 2، 1373 هـ/ 1953 م .
- الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي.
- الصدوق (381 ق) ، كمال الدين وتمام النعمة، محقق، مصحح: غفاري، علي أكبر ، ناشر: إسلاميه، تهران، 1395 ق.
- الصدوق، أبي جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١)، التوحيد ، تصحيح وتعليق : السيد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.
- الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة .
- الطوسي ، محمد بن الحسن (385 - 460 هـ)، العدة في أصول الفقه ، تحقيق محمد رضا الأنصاري القمي ، ط1: ذو الحجة 1417 هـ ق، 1376 هـ ش، مؤسسة البعثة ، قم .

- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ،الدر المنثور، ، دار الفكر ، بيروت.
- عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ)، الكتاب، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة ط3، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ)، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط1، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- الكليني(ت329 ق) ،الكافي (ط- الإسلامية) ، ، المحقق ،/ المصحح: غفاري علي أكبر وآخوندي، محمد، دار الكتب الإسلامية، تهران، 1407 ق، ط 4.
- الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح السيد علي عاشور، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان ،ط1، 1421 هـ _ 2000 م .
- محمد الري شهري، ميزان الحكمة، التحقيق: دار الحديث ، المطبعة: دار الحديث، ط1.
- المفيد(ت413 ق) ، تصحيح اعتقادات الإمامية، ، محقق / مصحح: درگاهى، حسين ، ناشر: كنگره شيخ مفيد ، ايران؛ قم: 1414 ق .
- النَّحَّاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت ٣٣٨هـ) ، الناسخ والمنسوخ، المحقق: د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح - الكويت، ط1، ١٤٠٨ ه.
- الهروي ، حمد بن أحمد ، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ) تهذيب اللغة المحقق: محمد عوض مرعب ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط1، ٢٠٠١م.
- المازندراني ، المولى محمد صالح (ت 1081 ه) ، شرح أصول الكافي ، كتاب الكافي في الأصول والروضة، لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني ، مع تعاليق الميرزا أبو